الطريق الى كربلاء

١

الحرّ الرياحي
فارس تختار المجد

ترجمه: كمال السيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

يسرّ مؤسسة " انصاريان " أن تقدّم إلى مكتبة الفتى المسلم هذه السلسلة الجميلة .

إنها تصور باسلوب قصصي إخلاص و تضحيات رجال و أطفال وقفوا إلى جانب سيدنا الحسين (عليه السّلام) .

رجال أشدّاء و أطفال أبطال رفضوا الحياة الذليلة و ا ختاروا الشهادة في سبيل الله .

جدير بالذكر أنه سبق للمؤسسة شرف تقديم سلسلتين الأولى عن حياة سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) و المعصومين من آله ، و الاخرى عن اصحابه المخلصين .

و هي إذ تقدّم سلسلة " الطريق إلى كربلاء " فانها تعاهد عتيان الإسلام على مواصلة عملها في إتحاف مكتبة الفتى المسلم بالمزيد من الإصدارات الأخرى ... و الله الموفق

مؤسسة أنصاريان : إيران ، قم ، شارع الشهداء

صندوق البريد : ايران / قم : ١٨٧ ، الهاتف : ٧٤١٧٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك يا بارئ العالمين
انت الرحيم ، و انت المعين...
و اياك يا ربّنا نستعين...
بنعماك نحيا و انت الاله
تعاليت يا ارحم الراحمين...
حياة البحار ، و صخر الجبال
تنادي بحمدك يا ذا الجلال...
تباركت يا أحسن الخالقين

الاهداء

إلى كل الذين ساروا على خط الحسين في الطريق إلى كربلاء ...

الحاكم الجديد

وصل عبيد الله بن زياد الكوفة حاكماً عليها من قبل يزيد بن معاوية .

كان أول شيء فعله الحاكم الجديد ، أن بدأ البحث عن مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين .

انتشر الجواسيس في كل مكان حتى عرفوا مكان ، و ثار مسلم بن عقيل ، و لكن ثورته انتهت بالفشل ، بعد أن تخلّى عنه أهل الكوفة ليبقى وحيداً .

استشهد مسل بن عقيل ، و كان قد بكى قبل إعدامه . لم يكن يبكي على نفسه ، كان يبكي من أجل الحسين ... فالحسين قادم مع أُسرته و أهل بيته .... ها هي قافلة ابن رسول الله تطوي الصحاري في طريقها إلى الكوفة .



في منتصف الطريق سمع الإمام باستشهاد مسلم و هانئ على يد الجلاّد ابن زياد ، فواصل طريقه متوكّلاً على الله سبحانه . فسيدنا الحسين لا يخاف الظالمين . لقد جاء من أجل يخلّص الناس من الظلم و القهر و الاستعباد .

جبل "ذو حسم"

وصلت قافلة الإمام الحسين قريباً من جبل يدعى " ذو حسم " .

كان أصحاب الحسين ينظرون في الأفق البعد . كانوا يتوقعون أن يصلوا الكوفة ...

نظر أحدهم في الأُفق و صاح :

ــ الله اكبر !

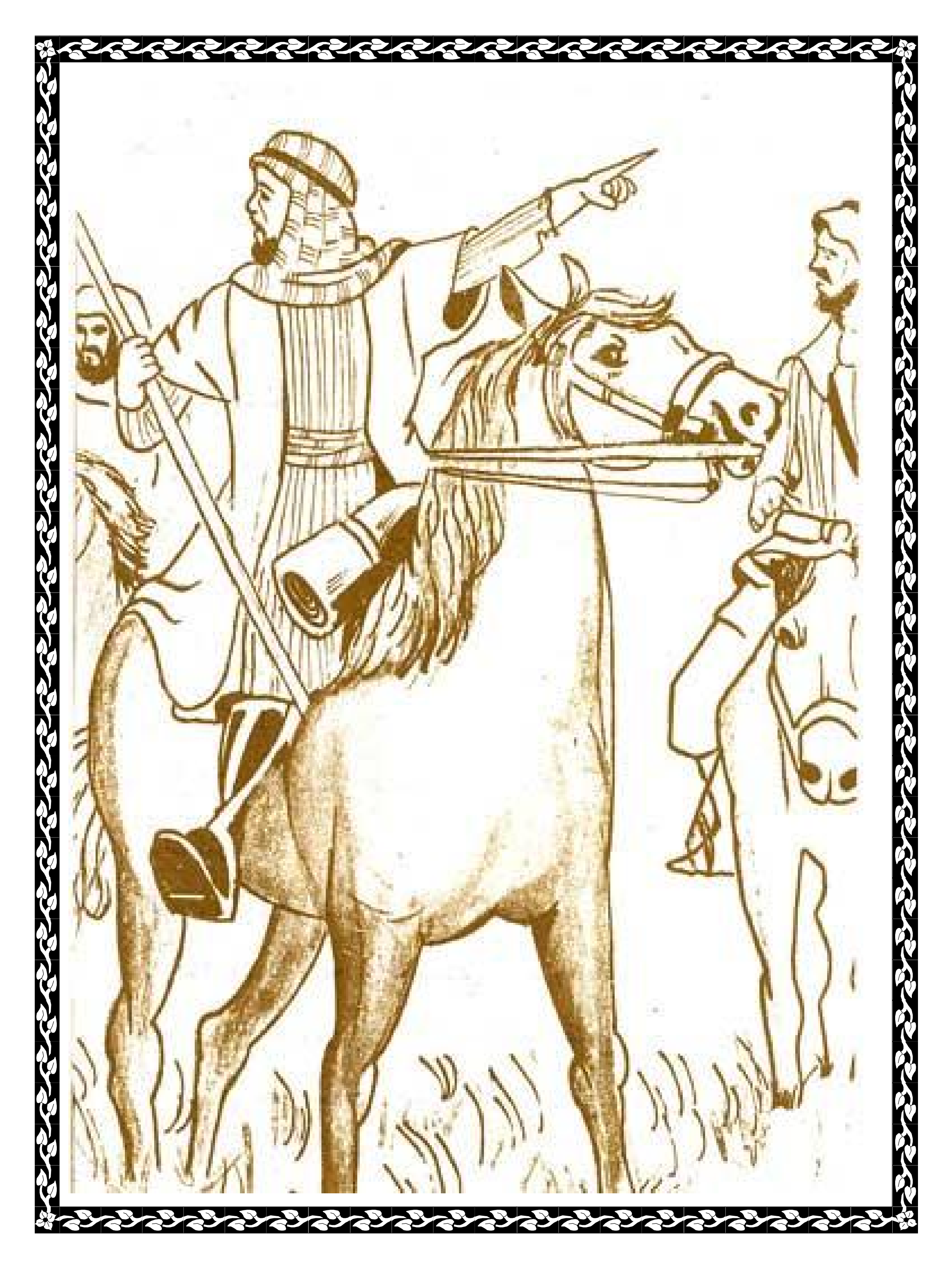
سأل الإمام الحسين صاحبه :

ــ لِم كبَّرت ؟!

أجاب الرجل فرحاً :

ــ رأيت أشجار النخيل يا سيدي ... لقد وصلنا .

نظر الإمام الحسين إلى الأفق ... و قال بعضهم :



ــ ليس في هذا المكان نخيل !... إنها الرماح و آذان الخيل !

قال الإمام مؤيّداً :

ــ و أنا أراه ذلك .

سأل الإمام عن موضع طبيعي حين يمكن اللجوء إليه ، فقال أحد أصحابه ، و هو يشير إلى جهة اليسار :

ــ نعم يا سيدي ... هنا يقع جبل ذو حسم ... و هو مكان حصين .

أمر سيدنا الحسين أصحابه بالاتجاه إلى الجبل ... ليكون لهم معسكراً .

الحرّ

كانت الخيول تقترب شيئاً فشياً . و أدرك الجميع أن أشجار النخيل التي رأَوها ما هي إلاّ ألف فارس يقودهم الحرّ بن يزيد الرياحي ... فمن هو الحرّ ؟

هو الحرّ بن يزيد الرياحي التميمي ... قائد شجاع كان معروفاً بالبطولة و الشهامة .

عندما سمع عبيد الله بن زياد حاكم الكوفة . بتوجه سيدنا الحسين إلى الكوفة ، أصدر أوامره بالتعبئة الشاملة . و التحاق كلّ القادرين على حمل السلاح .

أرسل عبيد الله بن زياد ألف فارس تحت قيادة الحر بن يزيد الرياحي لاعتراض قافلة الإمام الحسين (عليه السَّلام) .

و في مطلع شهر محرم الحرام كان فرسان الحر يجوبون الصحراء الحارقة ، بحثاً عن قافلة الحسين . و في ظهر أحد أيام المحرّم ، إلتقى جيش الحرّ قافلة الإمام . كان فرسان الحر يشعرون بعطش شديد في تلك الصحراء الحارقة .. و كان الماء قد نفد ، و لم يبق لديهم حتى قطرة واحدة .

عندما رأى سيدنا الحسين منظرهم أشفق عليهم و أمر بتقديم الماء إليهم و إلى خيولهم . و رأى الإمام أحد الفرسان يجهل استخدام القربة ، فنزل الإمام عن ناقته و سقاه الماء بنفسه .

تأثر الحر لهذا المنظر ، و دمعت عيناه و هو يرى سبط سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) ، و شعر بالخجل لأنّه جاء لاعتراض مسير الإمام (عليه السَّلام) .

الصلاة

حان وقت صلاة الظهر ... أمر الإمام رجلاً من أصحابه أن يرفع الأذان . كان الحر يصغي إلى الأذان بخشوع . و عندما سمع المؤذن يهتف :

أشهد أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، أطرق برأسه خجلاً لأنّه جاء يقطع الطريق على قافلة ابن رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

قال الإمام للحرّ :

ـــ أتصلّي بأصحابك ؟

قال الحرّ :

ـــ بل نصلّي جميعاً بصلاتك .

تقدّم سبط النبي للصلاة بخشوع في تلك الصحراء ، و اصطفّ خلفه الجميع .

أتمّ الإمام الصلاة و وقف خطيباً يوضّح لهم الأسباب التي دفعته إلى القدوم إلى الكوفة .

ـــ إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ، و قدمت بها عليّ رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام و لعلّ أن يجمعنا بك على الهدى .

أيّها الناس إنكم أن تتّقوا الله و تعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله ، و نحن أهل بيت محمد (صلى الله عليه و آله) أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم و السائرين بالجور و العدوان ... و إن أبيتم إلاّ الكراهية لنا ، و الجهل بحقّنا و كان رأيكم الآن على غير ما أتتني به كتبكم انصرفت عنكم .

تعجّب الحر لأنه لم يسمع بالرسائل التي أرسلها أهل الكوفة إلى الإمام عندما كان في مكّة .

قال الحرّ : ما أدري ما هذا الكتب التي تذكرها ؟

ألتفت الإمام إلى عقبة بن سمعان ، و أمره أن يأتي برسائل أهالي الكوفة إليه .

أحضر عقبة بن سمعان صندوقين مليئين بمئات الرسائل .

قال الحرّ :

ـــ إني لست من هؤلاء .

قال الإمام :

ـــ إذا كان الأمر كذلك فسأعود من حيث جئت ... سأعود إلى المدينة .

و عندما أراد الإمام التوجّه بالقافلة إلى أرض الحجاز ، اعترضهم الفرسان .

قال الإمام للحرّ :

ـــ ماذا تريد منّا ؟

أجاب الحرّ :

ـــ إنّني مأمور بإحضارك إلى الكوفة عند ابن زياد .

أجاب الإمام بغضب :

ـــ الموت أدنى إليك من ذلك .

كان الحر لا يحبّ الإصطدام مع الحسين لأنّه سبط سيدنا محمد فقال بأدب :

ـــ أُسلك طريقاً وسطاً لا يؤدي إلى المدينة و لا إلى الكوفة ... حتى أكتب إلى ابن زياد ... فلعلّ الله يرزقني العافية .

و اقترب الحرّ من الإمام و قال متوسلاً :

لا تقاتل هؤلاء ... فأنت وحيد ، و هؤلاء أُلوف ... سوف يقتلونك .

قال الإمام بألم :

ـــ أ تخوّفني بالموت ... و هل وصلتْ بكم الأمور أن تقتلوني ؟

و راح الإمام يردّد شعراً حماسياً :

سأمضي و ما بالموت عار على الفتى *** إذا ما نوى حقاً و جاهد مسلما

و واسى الرجال الصالحين بنفسه *** و فارق مثبوراً و خالف مجرما

فإن عشت لم أندم و إن متُّ لم أُلم *** كفى بك ذلا أن تعيش و تُرغَما

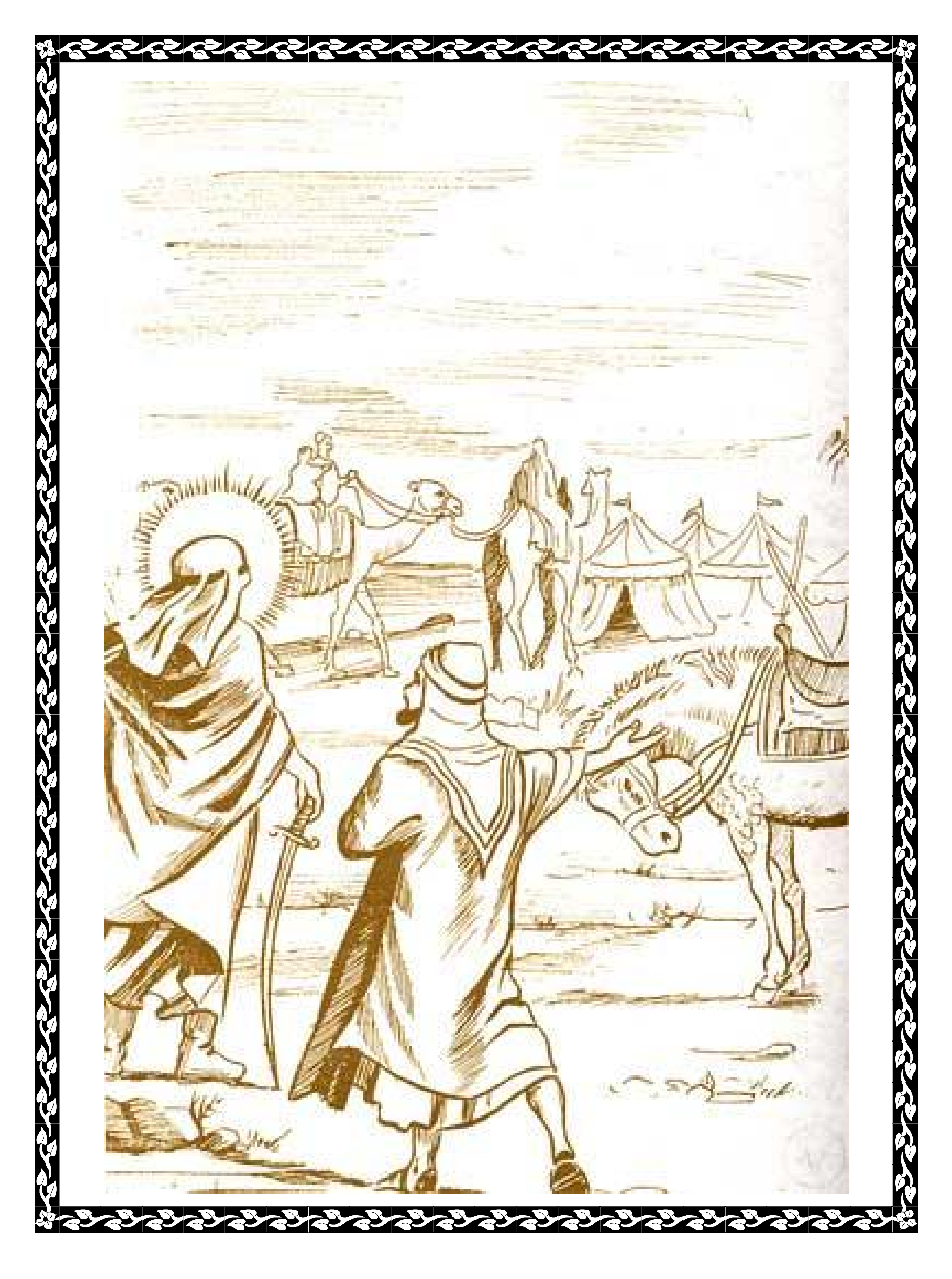
كان الحر يصغي إلى الإمام ، فتأثر و أدرك أنّ ابن رسول الله لا يخاف أحداً إلاّ الله ، لهذا ابتعد عنه و راح يراقبه من بعيد .

مضت قافلة الحسين في طريق جديد ، طريق لا يؤدّي إلى الكوفة و لا يذهب إلى المدينة .

البيضة

في منطقة " البيضة " توقّفت قافلة سيدنا الحسين و وقف سبط رسول الله ليخطب في فرسان الكوفة .

بدأ الإمام خطابه فحمد الله سبحانه ثم قال :



أيّها الناس ! إنّ رسول الله قال : " من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل و لا قول ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ".

ثم هاجم الإمام حكومة يزيد الفاسدة قائلاً :

ــ ألا و إن هؤلاء قد لزموا الشيطان ، و تركوا طاعة الرحمن ، و أظهروا الفساد ، و عطّلوا الحدود ، و استأثروا بالفيء ، و أحلّوا حرام الله ، و حرّموا حلاله ، و أنا أحقّ من غيّر .

و ذكّرهم الإمام بهويّته فقال :

ــ فأنا الحسين بن علي و ابن فاطمة بنت رسول الله ، نفسي مع أنفسكم ، و أهلي مع أهليكم ، و لكم فيَّ أسوة .

كربلاء

استأنفت قافلة الحسين (عليه السَّلام) مسيرها في الصحراء . و عندما و صلوا منطقة قريبة من " نينوى " وصل فارس قادم من الكوفة ، كان يحمل رسالة من ابن زياد إلى الحر . قرأ الحر الرسالة على الإمام .

ــــ جعجع " حاصرْ " بالحسين و لا تنزله إلاّ بالعراء (الأرض المكشوفة)

على غير ماء و غير حصن .

قال الإمام :

ــــ دعنا نذهب إلى نينوى .

فقال الحر :

ــــ لا أستطيع لأن الذي جاء من الكوفة جاسوس .

قال الإمام :

ــــ سر بنا قليلاً .

سارت قافلة الإمام الحسين ... و كان جيش الحر يراقب من بعيد ... حتى إذا وصلوا منطقة تسمى " كربلاء " أصدر الحر أمراً بتوقيف القافلة ، و منعها من مواصلة السير .

استفسر الإمام عن السبب فقال الحر :

ــــ إن هذه المنطقة قريبة من نهر الفرات .

سأل الإمام عن اسم المنطقة فقالوا : تدعى كربلاء .

دمعت عينا الإمام ، و تذكر حديثاً سمعه عن جدّه رسول الله يخبره باستشهاده في هذا المكان .

الحصار

كتب الحر الرياحي رسالة إلى حاكم الكوفة يخبره فيها بنزول الحسين و أصحابه و أسرته في كربلاء .

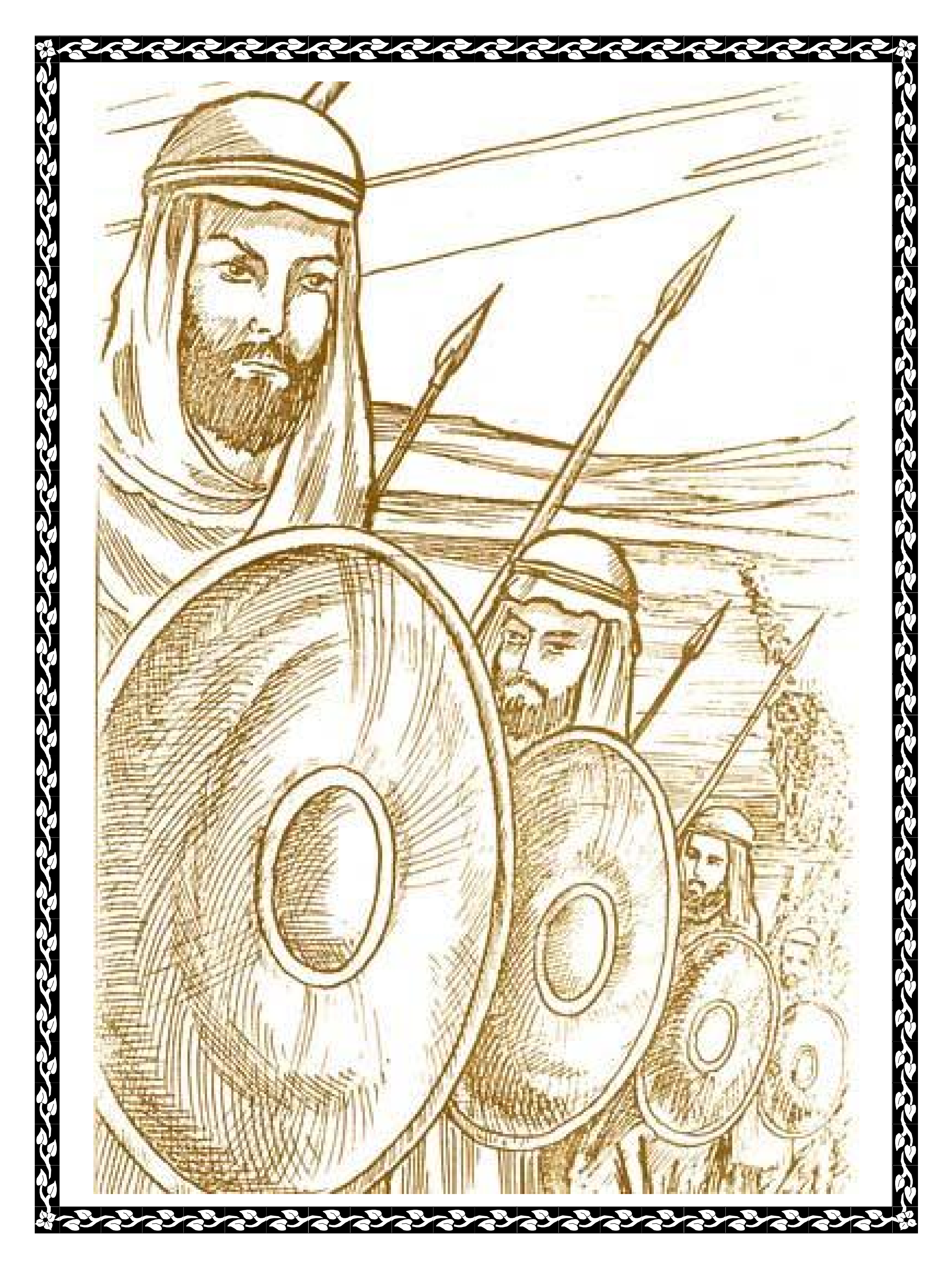
و في الكوفة كان ابن زياد يقوم بتحشيد الجيوش و إرسال الفرق العسكرية بقيادة عمر بن سعد .

و بدأت الكتائب تصل إلى كربلاء ، حتى وصلها عدد جنودها ثلاثين ألف مقاتل .

كان الحر ما يزال في جبهة العدو . و كان يظنّ أن أحداً لن يتجرّأ على قتل سيدنا الحسين ، لأنه ابن فاطمة بنت رسول الله . كان يفكّر أن ابن زياد سوف يقبل باقتراح الإمام الحسين بالعودة إلى الحجاز ، مادام أهل الكوفة قد غيروا رأيهم .

لهذا ظل الحر مع عمر بن سعد ينتظر حل المشكلة ، فيعود إلى الكوفة بسلام .

مرّت خمسة أيام على وصول الإمام الحسين إلى كربلاء ، و كان قد وصلها في الثاني من المحرم الحرام سنة ٦١ هـــ .



و في يوم السابع من المحرم بدأ جيش يزيد بفرض الحصار على معسكر الحسين ، و قطعوا الماء .

كان في معسكر الإمام (عليه السَّلام) أطفال صغار . و كان عمر بعضهم لا يتجاوز الستة شهور . شعر الجميع بالعطش ، و كان الأطفال يبكون من ألم العطش ... كانوا يريدون الماء . و كان الجوّ حاراً . لهذا كانوا يصرخون و يصيحون :

ــ ماء ... ماء ...

تألم الحرّ لهذا الموقف و تذكر كيف سقى الحسين ألف إنسان ، و ألف حصان ، قبل ستة أيام ، و كانوا على وشك أن يموتوا من لعطش في الصحراء .

يوم عاشوراء

أشرقت شمس العاشر من شهر محرّم الحرام .

كان جيش يزيد الذي يبلغ الأُلوف يستعد للهجوم على معسكر سيدنا الحسين (عليه السَّلام) ، سبط سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) . كان يزيد يريد من الإمام أن يسلّم نفسه ، أن يبايع الظالمين ، و أن لا يفكر

بالمظلومين و الفقراء و المقهورين .

لهذا رفض الإمام الحسين ذلك . لقد جاء من أجل أن ينشر العدل ، و أن يعيد حكم الإسلام من جديد .

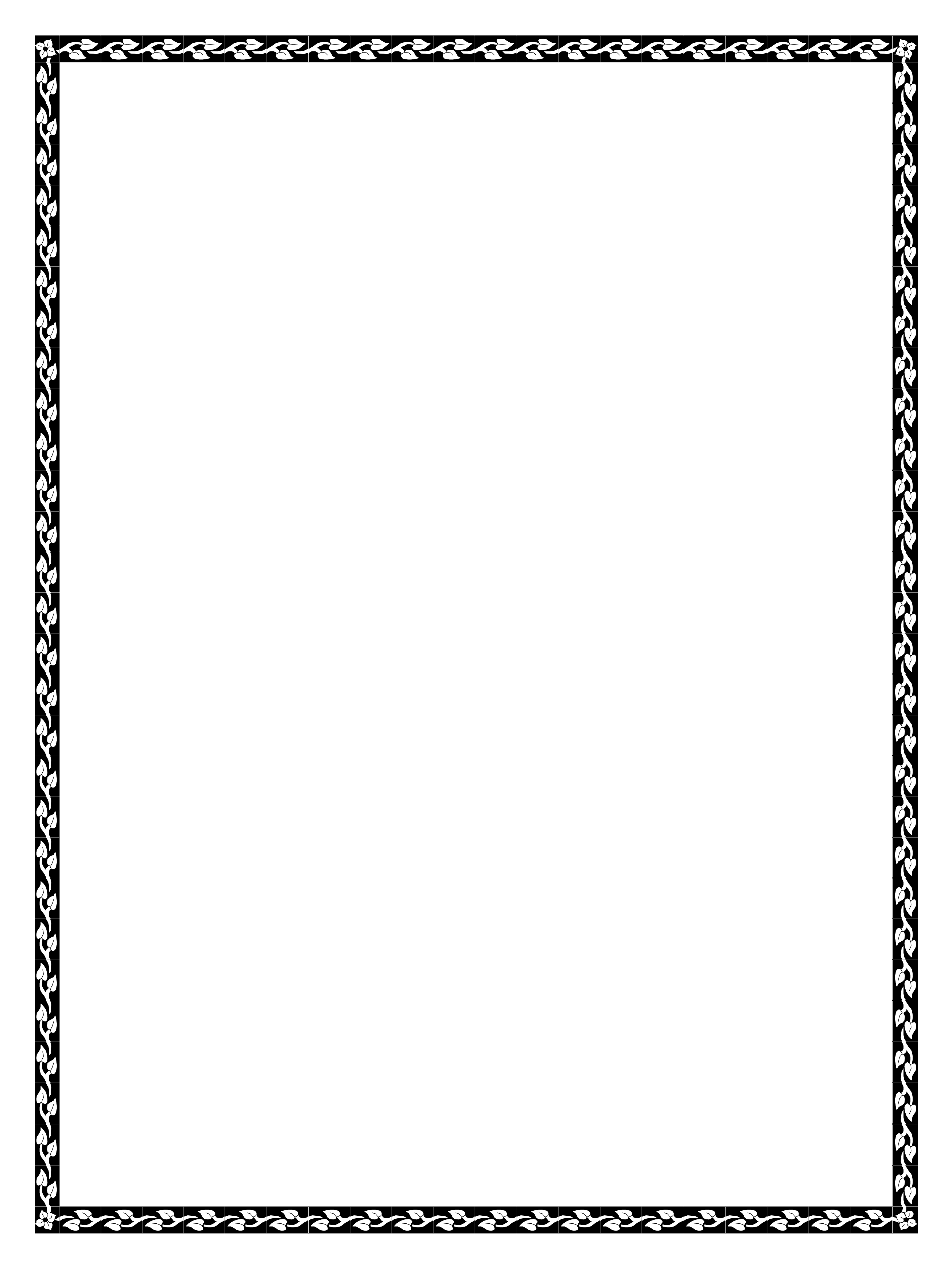
من بعيد بدا الحر الرياحي واقفاً في الصفوف الأُولى من جيش يزيد ... كان يراقب الإمام الحسين و أصحابه ، و هم يستعدّون للمواجهة .

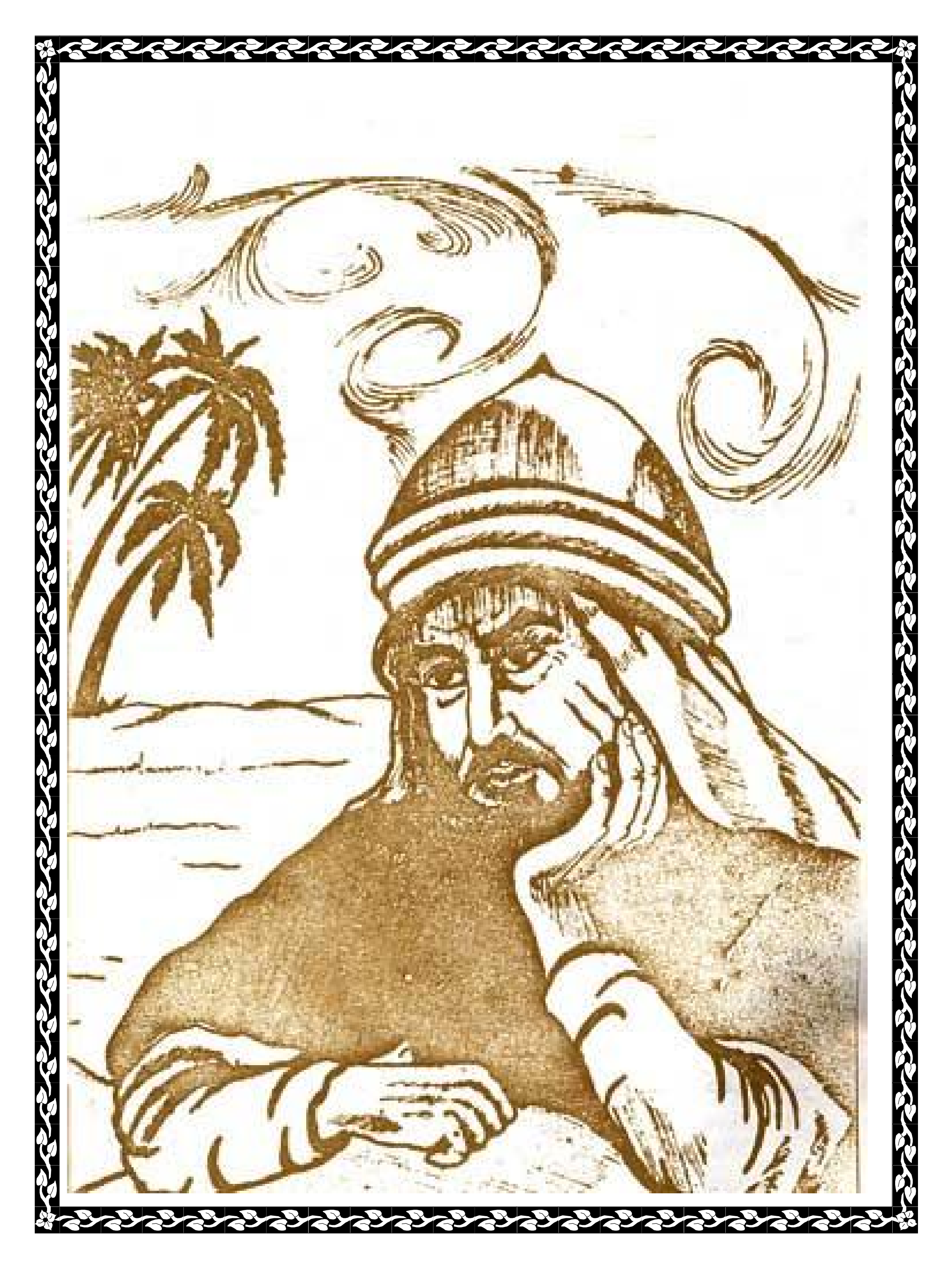
تعجّب الحرّ كيف يقاتل الإمام و أصحابه ، و عددهم قليل جداً . كيف يحاربون جيشاً يبلغ الأُلوف .

كان الحرّ يفكر و هو راكب حصانه . إصفَرَّ وجهه ، و شعر بجسمه يرتجف ... كيف سيقاتل الحسين (عليه السّلام) ، و هو ابن رسول الله (صلى الله عليه و آله) ... سوف يكون مصيره النار إذا فعل ذلك . كان الحرّ يفكّر و يفكّر ... ماذا يفعل ؟ هل يختار طريق الحسين ، أم طريق يزيد ؟ هل يختار الموت و الجنّة ؟ أم الحياة و النار و الشقاء ؟

من بعيد رأى الحر سيدنا الحسين يركب ناقته ، يريد أن يتحدّث إلى جيش يزيد .

تقدّم الإمام الحسين و أصبح قريباً من جيش يزيد ، و رفع صوته ليسمع الجميع :





ـــ أيّها الناس ! إنّ الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء و زوال ، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال فالمغرور من غرّته ، و الشقي من فتنته ، فلا تغرّنكم هذه الدنيا ، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها ، و تخيّب طمع من طمع فيها . و أراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، و أعرض بوجهه الكريم عنكم ، و أحلّ بكم نقمته ، فنعم الربّ ربّنا ، و بئس العبيد أنتم ، أقررتم بالطاعة ، و آمنتم بالرسول محمد (صلى الله عليه و آله) ، ثمّ أنّكم زحفتم إلى ذريته و عترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان ، فأنساكم ذكر الله العظيم ، فتبّاً لكم ، و لما تريدون ، إنّا لله و إنّا إليه راجعون . هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين .

بكى الحرّ ... دمعت عيناه ... و شعر بالخجل من نفسه ، كيف يعتبر نفسه مسلماً و هو يقاتل الحسين ؟ كيف يكون في قلبه الإيمان ، و هو يقف مع يزيد بن معاوية ضد ابن رسول الله (صلى الله عليه و آله) . أصغى الحر لما يقول الحسين (عليه السّلام) . كان الحسين ما يزال مستمراً في خطابه :

ـــ أيها الناس ! انسبوني من أنا ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم و عاتبوها ، و انظروا هل يحلّ لكم قتلي ، و انتهاك حرمتي ؟

ألست ابن بنت نبيكم ، و ابن وصيّه ، و ابن عمه ، و أوّل المؤمنين بالله ، و المصدق رسوله بما جاء من عند ربّه ؟

أوَليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي ؟

أوَليس جعفر الطّيار عمّي ؟

أوَ لم يبلغكم قول رسول الله لي و لأخي ، هذان سيّدا شباب أهل الجنة ؟

قطع الشمر بن ذي الجوشن خطاب الإمام و صاح :

إنا لا ندري ما تقول !

أجاب حبيب بن مظاهر الأسدي ، و كان من أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله) :

ـــ أشهد أنّك صادق ، لأنّ الله قد طبع على قلبك ، فلا تميّز بين الحقّ و الباطل .

استمر الإمام في خطابه قائلاً :

ـــ فإن كنتم في شك من هذا القول ، أ فتشكّون إني ابن بنت نبيكم . فو الله ما بين المشرق و المغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ، و لا في غيركم .

ثمّ نادى الإمام (عليه السّلام) بأعلى صوته :

ــ يا شبث بن ربعي !

و يا حجّار بن أبجر !

و يا قيس بن الأشعث !

و يا زيد بن الحارث !

أ لم تكتبوا إليَّ : أن أقدم قد أينعت الثمار ، و اخضرّ الجناب ، و إنّما تقدم على جند لك مجنّدة ؟

فصاح أولئك المجرمون دون حياء :

ــ لم نفعل ذلك أبداً .

فقال الإمام متعجّباً من كذبهم :

ــ سبحان الله ! بلى و الله لقد فعلتم .

ثمّ قال الإمام :

ــ أيّها الناس ! إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض !

و لكن المجرمين لا يريدون من الحسين سوى الاستسلام .

صاح قيس ابن الأشعث :

ــ أوَ لا تنزل على حكم يزيد ؟

فأجابه الإمام و هو يذكّرهم بقتل مسلم بن عقيل دون ذنب .

ـــ أنت أخو أخيك ، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ؟

ثمّ أطلق صرختة المدوّية :

ـــ لا و الله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذّليل ، و لا أفرّ فرار العبيد .

عباد الله إني عذت بربّي و ربكّم أن ترجمون ، أعوذ بربّي و ربّكم من كلّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب .

و رأى الحر الإمام الحسين قد أناخ ناقته و نزل .

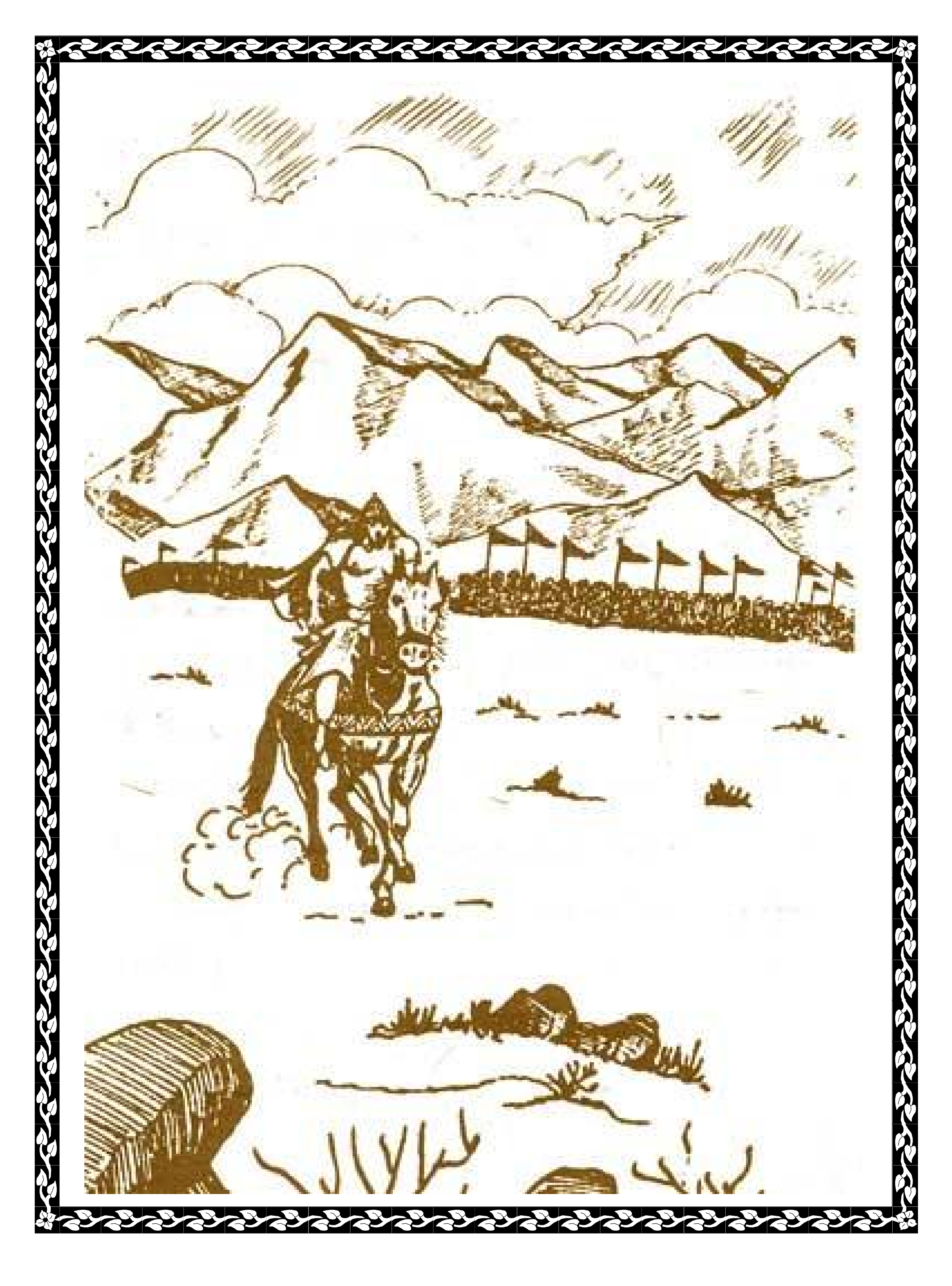
طريق الجنّة

لم يبق على بدء المعركة سوى دقائق ... عمر بن سعد قائد الجيش يتهيّأ لإعلان الهجوم العام . كان الحر يتقدّم بفرسه باتجاه معسكر الإمام الحسين . قال جندي في جيش يزيد للحرّ :

ـــ أتريد أن تهجم ؟

سكت الحر ، و شعر بجسمه يرتجف .

تعجّب الجندي من الحرّ ، الفارس الشجاع ، لماذا يرتجف ؟ فقال له :



ـــ لو سألني أحد عن أشجع أهل الكوفة ، لذكرتك أوّلاً ... فلماذا ترتجف ؟!

أجاب الحرّ :

ـــ إني أُخيّر نفسي بين الجنّة النّار .

و أقسم الحرّ و هو يتأهب للانطلاق نحو جبهة الحق .

ـــ و الله لا أختار على الجنة شيئاً .

قفز الحصان باتجاه معسكر الحسين ... و تعجّب الكثيرون من هذا الرجل الذي يختار الموت ، و يفضّله على الحياة .

لقد أصبح الموت جميلاً في نظر الحرّ لأنّه مع الحسين . أما الحياة مع يزيد فهي مرّة كالحنظل ... لأنّها حياة الذل و العبودية في الدنيا ... و النار في الآخرة ... لهذا اختار الحرّ الموت مع الحسين لأنّه سعادة الدنيا و الآخرة .

التوبة

ماذا فعل الحرّ و هو يتّجه صوب الحسين ؟

من تقاليد الحرب في ذلك الوقت ، أنّ الذي يريد الهجوم يحمل

رمح ، و يتوجّه باتجاه العدو ، و يرفع رأسه عالياً . و لكن الحرّ الرياحي لم يكن يريد الحرب ضد الحسين (عليه السَّلام) ، كان يريد اللجوء إليه ، كان يريد أن يتوب من عمله ، و من مواقفه السابقة .

إنه يريد أن يحارب إلى جانب الحسين (عليه السَّلام) ضد يزيد ، لأنّه يريد أن يقف إلى جانب الحقّ .

لهذا أطرق الحرّ برأسه ، و نكس رمحه ، أي جعل نصله باتجاه الأرض ، و تقدّم إلى الحسين (عليه السَّلام) .

عندما أصبح الحرّ قريباً من الإمام رفع بصره إلى السماء الصافية ، و نادى و هو يشعر بالخجل من مواقفه السابقة :

ــ اللّهم إليك أُنيب ، فتب عليّ ، فقد أرعبت قلوب أوليائك ، و أولاد نبيّك .

ثمّ نظر إلى الإمام و قال باكياً :

ــ يا أبا عبد الله إنّي تائب ، فهل لي من توبة ؟

ثم أطرق برأسه إلى الأرض مرّة أخرى .

فأجاب الإمام :

ــ نعم ! يتوب الله عليك . إرفع رأسك يا حرّ !

فرح الحرّ ، و تقدم إلى الإمام و عانقه ... و نظر أصحاب الحسين إلى الحرّ باعتزاز و احترام ، فهذا الرجل الحرّ ترك الدنيا ، ترك المناصب ، ترك كلّ شيء من أجل الحقّ ، و جاء ليصبح جندياً مع الحسين ليستشهد بعد لحظات .

قال الحرّ و هو يتذكّر ما حصل له عندما غادر الكوفة على رأس ألف فارس :

ــ عندما خرجت من الكوفة ، و سرت في الصحراء ، سمعت صوتاً يناديني ، لم يسمعه أحد غيري ، يقول لي : أبشر يا حرّ بالجنّة ، و أنا أسير لحرب ابن بنت رسول الله ؟

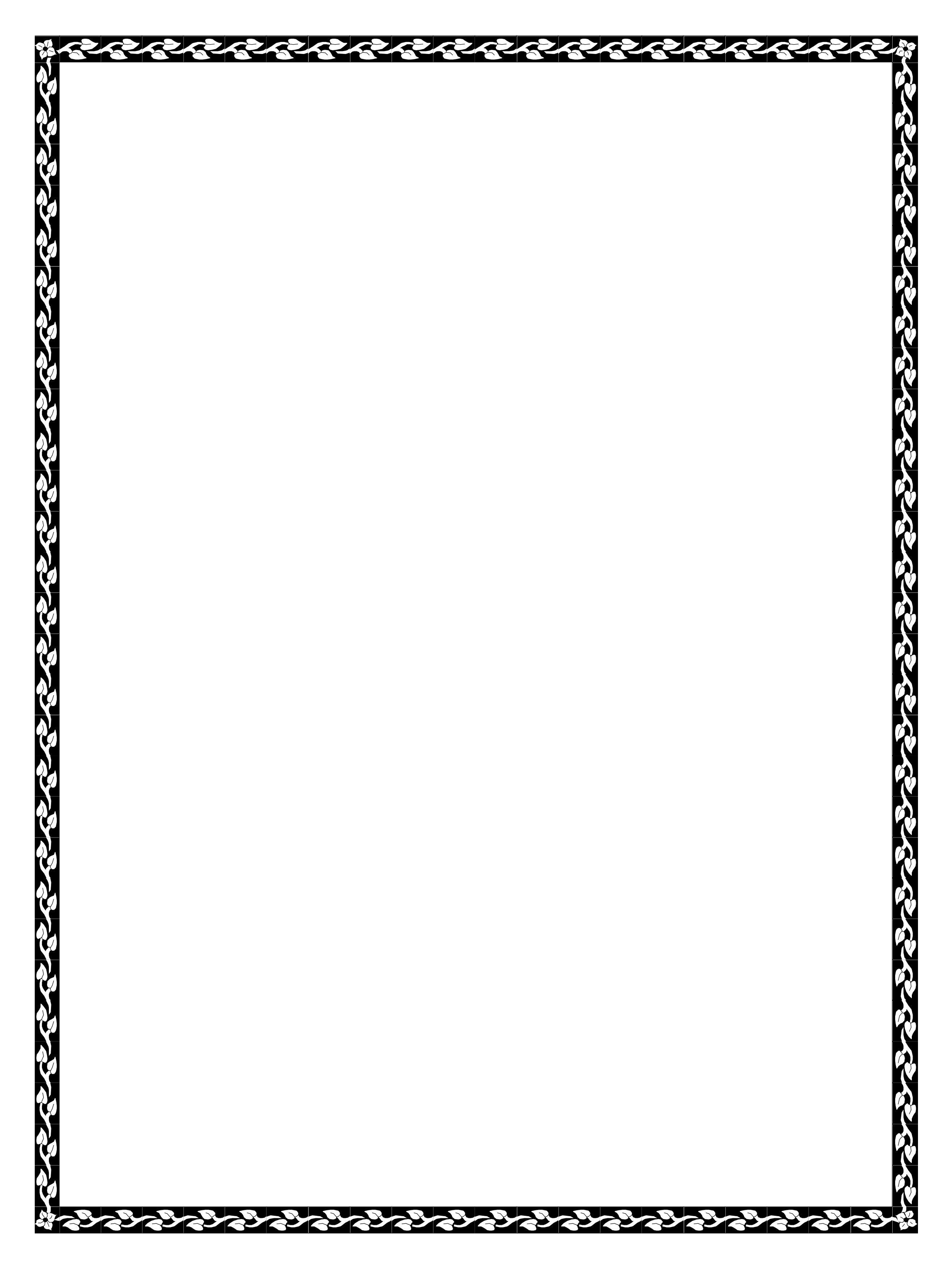
و بشّره الحسين بالجنّة قائلاً :

ــ لقد أصبت خيراً و أجراً .

النصيحة

استأذن الحرّ من الإمام أن يتحدّث مع أهل الكوفة ، و يذكّرهم بمواقفهم المخزية ، فوافق الإمام .

تقدم الحرّ حتى إذا أصبح قريباً من جيش يزيد نادى بأعلى صوته :





ـــ يا أهل الكوفة ! ما أخزى مواقفكم ، إذ دعوتموا هذا العبد الصالح ، و أحطتم به من كل جانب ، فمنعتموه التوجه إلى بلاد الله العريضة ، حتى يأمن و أهل بيته . و أصبح كالأسير في أيديكم ، لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضرّاً ، و حلّأتموه (منعتموه) و نساءه وصبيته و صحبته عن ماء الفرات الجاري ، الذي يشربه اليهود و النّصارى و المجوس ، و تمرغ فيه الخنازير و الكلاب ، و هاهم قد صرعهم العطش ، بئسما خلفتم محمداً في ذرّيته ، لا سقاكم الله يوم الظّمأ .

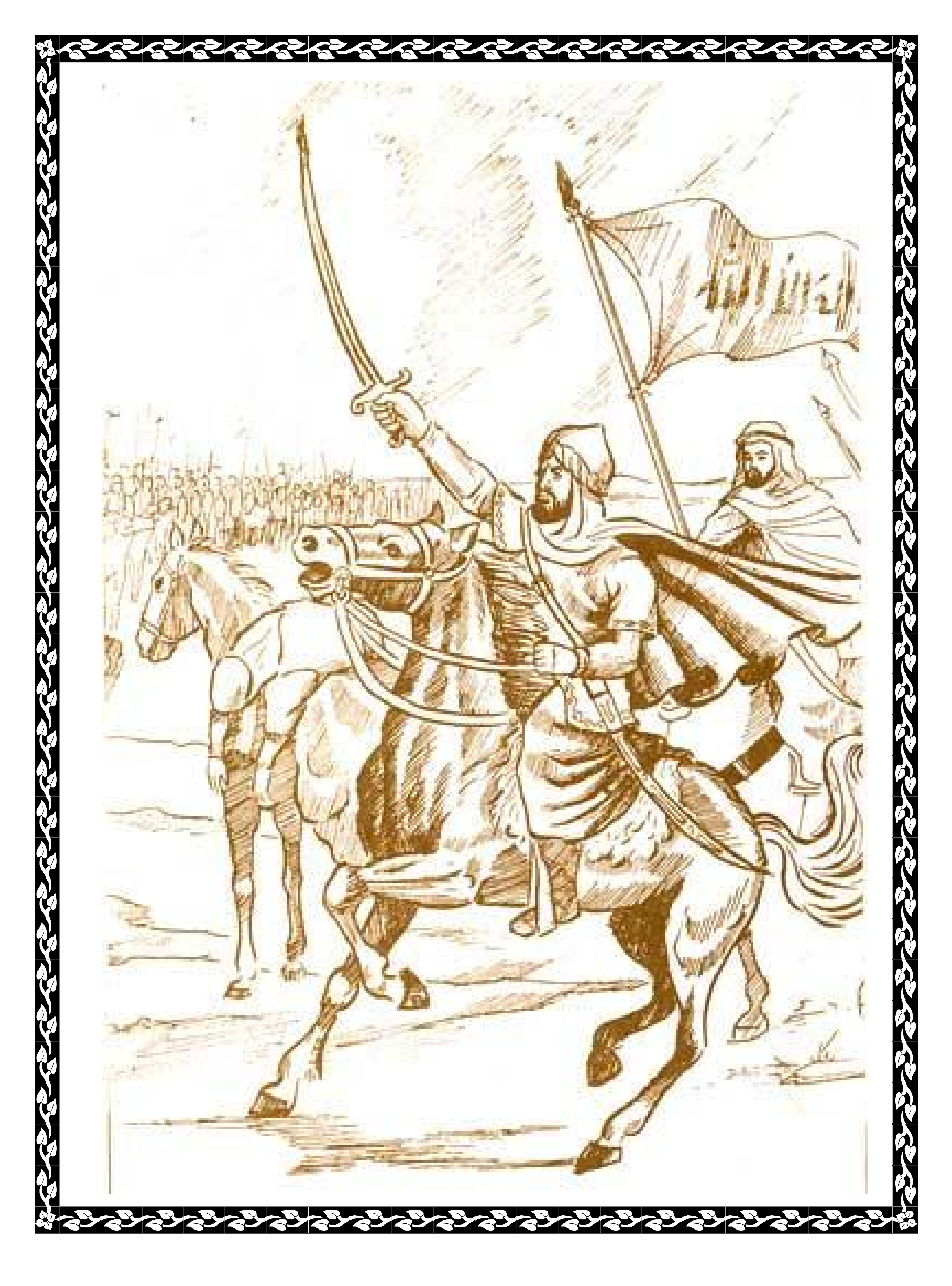
لم يستمع أهل الكوفة إلى هذه النصيحة ، و أمطروا الحرّ بوابل من السهام ، فتراجع ، وقف إلى جانب الحسين (عليه السَّلام) ، و هو يشعر بالألم و الحزن .

اشتعال المعركة

لم يبق على نشوب المعركة سوى لحظات . بدأ عمر بن سعد الهجوم العام . إذ اطلق سهماً باتّجاه معسكر الحسين و صاح :

ـــ اشهدوا لي عند الأمير أنّي أول من رمى .

أُنظر إلى عمر بن سعد إنّه لا يريد سوى مرضاة الأمير الظالم .



أما سيدنا الحسين فقد كان لا يريد شيئاً سوى مرضاة الله سبحانه .

و من أجل هذا تاب الحرّ و لجأ إلى الإمام ليقاتل إلى جانبه حتى الموت و الشهادة .

عندما أطلق عمر بن سعد السهم ، بدأ الهجوم العام ، و بدأت السهام تأتي كالمطر . و في هذه اللحظة هتف الحسين بأصحابه :

ـــ قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه !

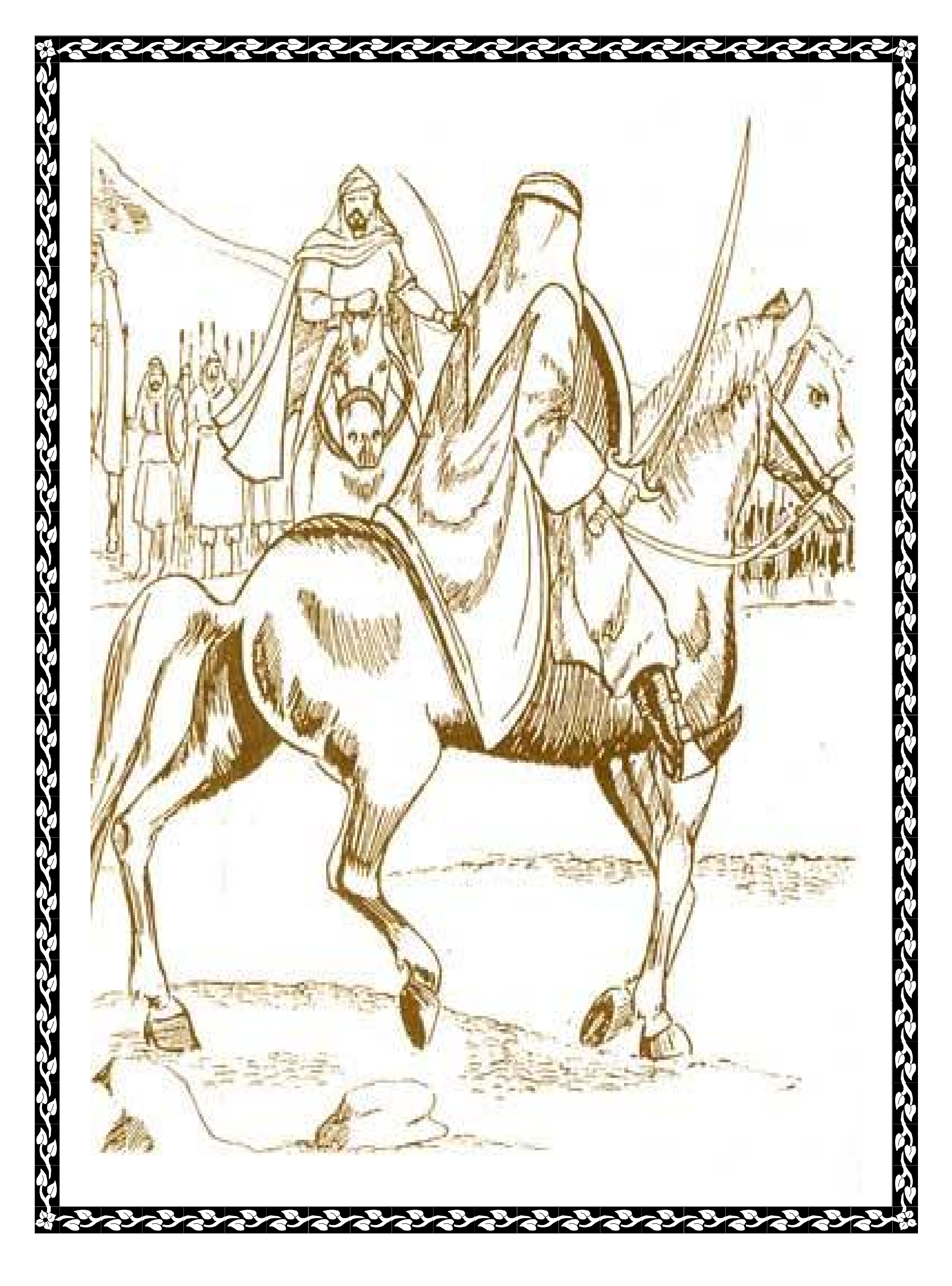
فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم .

و نهض أصحاب الحسين ليواجهوا الألوف المدجّجة بالسلاح .

و هكذا بدأت الاشتباكات العنيفة ، و تصاعد الغبار ، ليملأ الفضاء ، و عندما انتهى الاشتباك الأوّل ، و انجلى غبار المعركة ، إذا بخمسين جريحاً فوق الأرض من أصحاب سيدنا الحسين (عليه السَّلام) .

القتال الفردي

اتّبع أصحاب سيدنا الحسين أُسلوب القتال الفردي لأنّ عددهم لم يكن يتجاوز السبعين مقاتلاً ، لهذا كان أصحاب الإمام يخرجون فرادى ليواجهوا جيشاً كبيراً . كانوا يقاتلون ببسالة .



كان أوّل من خرج عبد الله بن عمير الكلبي . و تتابع أصحاب الإمام على الخروج ، و هم يسطّرون الملاحم في دنيا الشجاعة و الفروسية و الإيمان .

لم يَرُقْ ذلك لعمر بن سعد ، و أمر بشنّ هجوم عام . فاندفعت الأُلوف من المقاتلين . و لكن أصحاب الحسين واجهوا الهجوم بشجاعة .

وصل العدو إلى مضارب الخيام ، و هجم الشمر قائد المشاة على الخيام ، و كانت في يده مشاعل النار و صاح :

ــ عليَّ بالنار لأُحرقه على أهله !

خافت النساء ، و هرب الأطفال . فتصدّى زهير بن القين و معه بعض أصحابه ، و أجبر العدو الغادر على التراجع .

و استمرّ القتال حتى منتصف النهار .

الصلاة

طلب الإمام الحسين إيقاف القتال من أجل الصلاة . فصاح أبن نمير :

ــ إنّها لا تقبل منكم !

شعر حبيب بن مظاهر بالغضب ، و كان من أصحاب سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) ، فخاطب ابن نمير قائلاً :

ـــ زعمت أنّها لا تقبل من آل الرسول ، و تقبل منك يا حمار ؟

هجم ابن نمير مع مئات المقاتلين على حبيب فتصدّى الصحابي البطل لمواجهتهم ، و قتل بالرغم من شيخوخته ستين مقاتلاً .

و ظلّ يقاتل حتى سقط على الأرض شهيداً و شعر الحسين (عليه السّلام) من أجل ذلك بالحزن .

شهادة الأحرار

ها هو الحرّ يستعد للهجوم . لم يكن وحده ، كان معه زهير بن القين . كانت خطّتهما أن يهجم أحدهما فإذا أمعن في القتال و حوصر ، هجم الآخر و فكّ عنه طوق الحصار . و هكذا هجم الحرّ ، و راح يقاتل ببسالة . و كان فرس الحرّ ينزف دماً ، و كان الحرّ جريحاً هو الآخر . و في غمرة المعركة ، وجّه أحد أفراد العدو سهماً غادراً فصرع الفرس . و هنا قفز الحرّ من فوق فرسه ، و راح يقاتل ... و اندفع عشرات الجنود و حاصروه ، و هنا شنّ زهير هجوماً لإنقاذ الحرّ ... و

لكنه وصل متأخراً ، و وجد الحرّ جريحاً ، و رأى الحسين من بعيدٍ ما حصل ، فأطلق العنان لفرسه ، و تمكن من الوصول إلى الحرّ قبل قتله .

حمل الحرّ إلى خيمة الجرحى . كانت الدماء تنزف بشدّة .

قال الحسين و هو يمسح الدم عن وجه الحرّ :

ــ أنت الحرّ كما سمّتك أُمّك ، و أنت الحرّ في الدنيا و الآخرة .

ابتسم الحرّ كأنّه يودّع سيده الحسين . ثمّ أغمض عينيه ، و عرجت روحه إلى السماء .

فقال الحسين متأثراً :

ــ لقد مات كما يموت الأنبياء .

المجد

و من يزور كربلاء ، سوف يشاهد عن بعد ، و قريباً من شواطئ الفرات قبّة جميلة ، و منائر تتألّق في الفضاء ، إنّه ضريح الحرّ الرياحي ذلك البطل الذي اختار الموت في كرامة ، على الحياة الذليلة . فكان نصيبه المجد في الدنيا ، و الجنّة في الآخرة .

تُرى ماذا حصل بعد استشهاد الحرّ ؟

لقد تواصلت المعارك الضارية في صحراء كربلاء ، لنتابع معاً تلك الملحمة الرائعة في دنيا الفداء و التضحية و الإيثار ... فإلى الكتاب الثالث من هذه السلسلة !